الفصل الخامس: نظرية التعلم الاجتماعي

Albert Bandura

نظرية التعلم الاجتماعي Albert Bandura(1925-الى يومنا)

تمهيد

تنسب نظرية التعلم الاجتماعي بشكل أساسي لعالم النفس الكندي A. Bandura و الذي يعمل حاليا بقسم علم النفس بجامعة Stanford ب Sanfrancisco بالولايات المتحدة الأمريكية ، و يعد من أعظم علماء النفس الذين مازالوا على قيد الحياة ، كما يعد من رواد تعديل السلوك و خاصة السلوك العدواني.و يطلق على نظرية التعلم الاجتماعي عدة تسميات من بينها : نظرية التعلم بالملاحظة و المحاكاة ، و نظرية التعلم بالنمذجة و التقليد.

و يعتبر A. Bandura أن اغلب الأنشطة البشرية يتم تعلمها من خلال الملاحظة و المحاكاة و خاصة الأنماط التي يصعب تعلمها عن طريق تشكيل السلوك ، لأنها تكتسب بشكل كلي دون تدرج ، و أن نمو الشخصية و تعديل السلوك يعتمد على خبرات التعلم الاجتماعي ، فالبيئة الخارجية تقدم للفرد نماذج كثيرة من السلوك التي يقوم بتقليدها .لذلك نلاحظ أن الطفل الصغير يحاول دائما تقليد سلوك الآخرين. و يعرف التعلم الاجتماعي حسب هذه النظرية بأنه اكتساب الفرد أو تعلمه لأنماط سلوكية جديدة من خلال إطار أو موقف اجتماعي عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين أو من خلال ملاحظة النماذج و يسمى في هذه الحالة التعلم القائم على الاقتداء بالنموذج .

مضمون نظرية التعلم الاجتماعي

لقد لفت انتباه A. Bandura أن أنماط كثيرة من السلوك يتم تعلمها من خلال ملاحظة الآخرين و تقليدهم ، فالإنسان كائن اجتماعي يعيش في نطاق جماعات من الأفراد يتفاعل معهم يؤثر و يتأثر يهم ، فهو يلاحظ سلوكيات و عادات و اتجاهات الأفراد المحيطين به فيتعلمها من خلال تقليدهم .

وتعد نظرية التعلم الاجتماعي حلقة الوصل بين النظريات السلوكية و النظريات البنائية لتأكيدها على دور العمليات المعرفية التي تتوسط بين المثير و الاستجابة ، فهي ترى أن التعلم يحصل نتيجة التقليد لأنماط من السلوك ملاحظ و لكن هذا التقليد لا يتم بطريقة آلية ، بل بعد عمليات معرفية تشمل تنظيم المعلومات و تفسير المثيرات (السلوك الملاحظ) و تكوين الفروض عن نوع الاستجابة المرغوبة التي تؤدي إلى التعزيز المطلوب .ومثل هذه الأنماط ربما لا تظهر على نحو مباشر، ولكن تستقر في البناء المعرفي للفرد بحيث يلجا إلى تنفيذها في الوقت المناسب، وهذا ما يشير إلى مفهوم التعلم الكامن والذي

يتضمن تخزين الاستجابة المتعلمة من خلال الملاحظة على نحو معين من التمثيل العقلي ليلجا إلى استرجاعها لاحقا.و يتضمن التعلم بالملاحظة جانبا انتقائيا ، فالانتباه إلى المثيرات انتقائي حيث أن الفرد يوجه انتباهه إلى موضوع دون آخر إذ ليس بالضرورة أن عمليات التعرض إلى الأنماط السلوكية التي تعرضها النماذج يعني تقليدها . وانطلاقا من هذه القضية، فالأفراد عندما يشاهدون سلوكات النماذج، فإن بعضهم يتعلم جوانب مختلفة من جوانب سلوك ذلك النموذج .ولا يقتصر الجانب الانتقائي على عمليات التعلم فحسب، وإنما ينعكس أيضا على عملية الأداء لمثل هذه الجوانب السلوكية .فقد يعمل الأشخاص على إعادة صياغة تلك الأنماط السلوكية على نحو معين، أو ربما يلجأون إلى تنفيذ

جوانب منها على نحو انتقائي. وهكذا فإن الانتقائية في تعلم جوانب معينة من سلوكات النماذج، وأداء بعض الجوانب منها يرتبط على نحو دقيق بمستوى الدافعية والعمليات المعرفية لدى الفرد الملاحظ.

لقد ميز A. Bandura بين التعلم و الأداء ، إذ يرى أن الأداء أو السلوك الخارجي ليس بالضرورة أن يعكس التعلم الحقيقي لدى الفرد ، ففي كثير من الحالات يتعلم الفرد الكثير من الأنماط السلوكية و الخبرات إلا أن مثل هذه الخبرات و الأنماط لا تظهر في سلوكياتهم بشكل مناسب لأسباب داخلية خاصة بهم (فالسلوك الخارجي ليس محكا للحكم على التعلم).

تجارب:A. Bandura :

لقد أجرى A. Bandura العديد من الأبحاث التجريبية على الأطفال والأفراد الراشدين لاختبار صحة فرضيات نظريته في التعلم الاجتماعي، وقد كان محور بعمليات التعديل السلوكي، وفيما يلي عرض لبعض هذه التجارب:

التجربة 1:

اشتملت هذه التجربة على عينة من الأطفال تم تقسيمها عشوائيا إلى خمس مجموعات على النحو التالي:

-المجموعة الأولى :شاهدت نموذجا (مجموعة أفراد بالغين) تمارس سلوكا عدوانيا لفظيا وجسديا حيال دمية، وكانت المشاهدة مباشرة من قبل هذه المجموعة لسلوك النموذج.

-المجموعة الثانية :شاهدت هذه الأنماط السلوكية لنفس النموذج على نحو غير مباشر، أي من خلال فيلم تلفزيوني.

-المجموعة الثالثة :شاهدت هذه الأنماط السلوكية على نحو غير مباشر، ولكن من خلال نماذج كرتونية، أي من خلال فيلم يشتمل على صورة متحركة تمارس السلوك العدواني حيال دمية ما.

-المجموعة الرابعة :لم تشاهد أحداث السلوك العدواني، وهي تمثل المجموعة الضابطة.

-المجموعة الخامسة :شاهدت نموذجا يعرض سلوكا مسالما حيال الدمية.

في المرحلة اللاحقة من التجربة، تم تعريض المجموعات الخمس وعلى نحو منفرد إلى نفس الخبرة التي شاهدوها .وتضمن هذا الإجراء وضع كل مجموعة في غرفة خاصة اشتملت على دمية، وتتيح مثل هذه الغرفة، إمكانية مراقبة سلوكات أفراد المجموعة. و تم ملاحظة ورصد السلوكات العدوانية لكل مجموعة من هذه المجموعات، وأشارت النتائج إلى أن متوسط الاستجابات العدوانية التي أظهرتها المجموعات الخمس كان (183) للأولى، و (92) للثانية، و (198) للثالثة، و (52) للرابعة، و(42) للخامسة، ويتضح من نتائج التجربة السابقة ما يلي-:

1 -أظهرت المجموعات الأولى الثلاث التي شاهدت النموذج التي يمارس السلوك العدواني ميلا أكبر لتعلم مثل هذا السلوك وممارسته حيال الدمية مقارنة بالمجموعتين الرابعة والخامسة.

2 -أظهرت المجموعة الثالثة التي شاهدت نموذجا كرتونيا ميلا أكبر لممارسة السلوك العدواني من المجموعتين الثانية والأولى.

3 -أظهرت المجموعة الخامسة التي شاهدت نموذجا يمارس السلوك المسالم ميلا أقل من المجموعة الرابعة لممارسة السلوك العدواني.

تعليق على نتائج هذه التجربة:

أ -إن ممارسة أفراد المجموعات الثلاث السلوك العدواني على نحو أكبر بكثير من أفراد المجوعتين الرابعة والخامسة مؤشر إلى أن أفراد هذه المجموعات قد تعلموا مثل هذه السلوك نتيجة ملاحظة نماذج تمارس مثل هذه السلوكات، وهذا ما يدلل على أن التعلم قد تم فعلا من خلال الملاحظة والتقليد.

ب -إن ممارسة أفراد المجموعة الثالثة للسلوك العدواني على نحو أكثر من أفراد المجوعتين الأولى والثانية يؤكد مما لا شك فيه أهمية النموذج ومدى تأثر الأفراد به، فمن الملاحظ أن الأطفال أكثر انجذابا إلى أفلام الكرتون، وهذا ما يفسر سبب أن أفراد هذه المجموعة كانوا أكثر تأثرا بسلوك هذا النموذج، الأمر الذي انعكس في ممارستهم للسلوك العدواني على نحو أكبر من المجوعتين الأولى والثانية.

ج -أظهر أفراد المجموعة الخامسة ميلا أقل لممارسة السلوك العدواني مقارنة مع أفراد المجموعات الأخرى، ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه المجموعة شاهدت نموذجا يعرض سلوكا مسالما، وبالتالي فقد تأثرت بمثل هذا السلوك ، وهذا بحد ذاته دليل آخر على أهمية التعلم من خلال الملاحظة والتقليد.

التجربة2:

اشتملت هذه التجربة على ثلاث مجموعات من الأفراد تم تعرضها إلى أفلام تتضمن نماذجا مختلفة تعرض أنماطا من السلوكات العدوانية حيال دمية، وقد ترتب على سلوكها هذا نتائج مختلفة، وذلك كما هو مبين أدناه-:

1 -المجموعة الأولى :شاهدت نموذجا يمارس سلوكا عدوانيا وقد تمت معاقبة هذا النموذج بشدة على السلوك العدواني.

2 -المجموعة الثانية :شاهدت نموذجا يمارس سلوكا عدوانيا وقد جرى تعزيز هذا النموذج على السلوك العدواني.

3 -المجموعة الثالثة :شاهدت نموذجا يمارس سلوكا عدوانيا ولم يعاقب أو يعزز على هذا السلوك.

في المرحلة الثانية من التجربة، تم تعريض أفراد المجموعات الثلاث إلى نفس الخبرة التي شاهدوها، وتم رصد وتسجيل أنماطهم السلوكية .وقد ظهرت النتائج على النحو الآتي-:

1 -أظهرت المجموعة الثانية التي شاهدت النموذج الذي عزز على سلوكه العدواني ميلا أكبر لممارسة مثل هذا السلوك أكثر من المجموعتين الأولى والثالثة.

2 -أظهرت المجموعة الثالثة التي شاهدت النموذج الذي لم يعزز أو يعاقب على السلوك العدواني ميلا أكبر لممارسة مثل هذا السلوك مقارنة مع المجموعة الأولى.

3 -أظهرت المجموعة الأولى التي شاهدت النموذج الذي عوقب على السلوك العدواني ميلا قليلا لممارسة مثل هذا السلوك.

في المرحلة الثالثة من التجربة، تم تشجيع أفراد المجموعات الثلاث على ممارسة السلوك العدواني كما شاهدوه في سلوك النماذج التي تعرضوا لها، وقد أظهرت النتائج أن الجميع مارسوا السلوك العدواني، ولم تظهر أية فروق بين المجموعات الثلاث من حيث ممارسة هذا السلوك.

تعليق على هذه التجربة:

إن نتائج هذه التجربة تشير بلا شك إلى أهمية النتائج المترتبة على سلوك النموذج في حدوث التعلم من خلال الملاحظة والتقليد .فالمجموعة الثانية أظهرت الميل إلى تعلم وممارسة السلوك العدواني لأن النموذج تم تعزيزه على هذا السلوك، في حين أن أفراد المجموعة الأولى لم تظهر الميل الكبير إلى تعلم وممارسة هذا السلوك لأن النموذج عوقب بشدة على هذا السلوك .وهكذا نجد أن مثل هذه النتائج شكلت دافعا لأفراد المجموعات لتعلم السلوك العدواني وممارسته أو تجنب ذلك .ويظهر ذلك جليا، عندما طلب من جميع أفراد

المجوعات الثلاث ممارسة السلوك العدواني وقد عززوا على ذلك، وهذا ما شكل دافعا قويا لتذكر مثل هذا السلوك وممارسته من قبل أفراد المجموعات الثلاث على السواء.

آليات التعلم الاجتماعي:

يرى A. Bandura أن التعلم بالملاحظة يتضمن ثلاث آليات رئيسية هي :

1-إن تعلم الخبرات والأنماط السلوكية المختلفة يمكن اكتسابها على نحو بديلي من خلال ملاحظة الآخرين دون الحاجة إلى مرور الفرد الملاحظ بهذه الخبرات على نحو مباشر . إن ملاحظة سلوكيات الآخرين وخبراتهم وما يترتب عليها من نتائج تعزيزية أو عقابية ربما يثير الدافع لدى الأفراد الملاحظين لمثل هذه النماذج في تعلم الأنماط السلوكية التي تعرضها أو تجنب ذلك، فالنتائج التعزيزية أو العقابية الناجمة عن سلوك النماذج تؤثر على نحو بديلي في عملية التعلم، وهو ما يطلق عليه التعزيز البديلي أو العقاب البديلي فعند ملاحظة فرد يعزز على سلوك معين، ربما يشكل هذا دافعا لنا لتعلم مثل هذا السلوك، كما أن رؤية فرد يعاقب على سلوك ما، ربما يثير لدينا دافعا لتجنب هذا السلوك، وهكذا نجد أن تعلم بعض الخبرات و الأنماط السلوكية قد يتم على نحو غير مباشر من خلال ملاحظة سلوكات النماذج وما يترتب عليها من نتائج تعزيزية أو عقابية. هناك العديد من الأنماط السلوكية التي يتم تعلمها على نحو بديلي، ومن الأمثلة عليها الخوف من بعض الأشياء كالحيوانات والحشرات وغيرها من الأحداث، كما ويمكن أن يتشكل القلق لدينا نتيجة الملاحظة والتقليد، فالطفل على سبيل المثال، ربما يتعلم القلق من خلال ملاحظة والده أو والدته وهو يظهر القلق في موقف معين .بالإضافة إلى ذلك هناك العديد من أنماط السلوك المعقدة التي يفترض على الفرد تعلمها مثل العادات والقيم والتقاليد واللغة واللهجة وأنماط السلوك الاجتماعي السائد في بيئته والمهارات الأخرى مثل الألعاب الرياضية وقيادة السيارة وغيرها والتي قد يتم تعلمها أيضا على نحو بديلي من خلال الملاحظة والتقليد .

و على هذا الأساس ميز A. Bandura بين نوعين من التعزيز هما التعزيز المباشر و التعزيز غير المباشر ، فالتعزيز المباشر يكون عندما يلاحظ شخص ما نموذجا فيقوم بتقليده فتكون المكافئة او العقاب.أما التعزيز غير المباشر (التعزيز البديل) فيكون عندما يتوقع الشخص مكافأة من وراء قيامه بسلوك ما تبعته مكافئة عند شخص آخر. و نفس التمييز بالنسبة للعقاب. كما يرتبط التعزيز البديل بما يسمى الكفاءة الذاتية أي ثقة الفرد في قدراته بأنه يستطيع أن يسلك السلوك الصحيح و المرغوب ، فهي حكم ذاتي بقدرة الفرد على أداء شخصي معين (استطيع / لا استطيع) كما أنها تعتبر موقفية و ليست عامة (استطيع في الرياضيات / لا استطيع في النحو). كما يرى A. Bandura أن مثل هذه التوقعات والاعتقادات حول الكفاءة الذاتية تؤثر إلى حد كبير في دافعية الفرد للسلوك أو عدم السلوك في موقف ما.

فالكفاءة الذاتية تؤثر في طبيعة ونوعية الأهداف التي يضعها الأفراد لأنفسهم وفي مستوى المثابرة والأداء. فالأفراد الذين لديهم مستوى عال من الكفاءة الذاتية أكثر إصرارا على تحقيق الأهداف ولديهم القدرة على الاستمرار لوقت أطول في بذل الجهد مقارنة بالأفراد من ذوي المستوى المتدني.

2-يرى A. Bandura أن عملية تعلم استجابة ما من خلال الملاحظة وأداء مثل هذه الاستجابة يخضع إلى عمليات معرفية وسيطية مثل الاستدلال والتوقع والقصد والإدراك وعمليات التمثيل الرمزي. ففي هذا النوع من التعلم يعمد المتعلم إلى تمثل الأنماط السلوكيه الملاحظة بطريقة ما على نحو يساعده لاحقا في الاستفادة منها و إعادة إنتاجها سلوكيا.

3-يرى A. Bandura أن الأفراد يعملون على تنظيم سلوكاتهم ذاتيا وتحديد آلية تنفيذها في ضوء النتائج التي يتوقعون تحقيقها من جراء القيام بها .فالتوقع بالنتائج المترتبة على السلوك هو الذي يحدد إمكانية تعلم هذا السلوك أو عدم ذلك، كما يلعب التوقع أيضا دورا هاما في أداء مثل هذا السلوك وتحت أي ظروف يكون من المناسب القيام به.

كما اقترح A. Bandura عدة أنواع من نواتج التعلم الاجتماعي و منها:

1-تعلم سلوك جديد أو مهارة جديدة ليست في حصيلة الفرد السلوكية (تعلم الطفل للعادات و الحركات من خلال ملاحظة والده...المشي، التحدث، التعامل.....).

2-كف أو تحرير سلوك(الامتناع عن سلوك نتيجة لما يتبعه من آثار عقابية، أو القيام بسلوكيات مكفوفة ترفضها البيئة على أنها سلوكيات سيئة ، مثل التأخر في الدخول إلى المدرسة دون عقاب فيقوم الملاحظ بذلك.).

3-تسهيل ظهور سلوكيات متعلمة غير مكفوفة و لكنها تأثرت بالنسيان(تعلم الطفل قضم أظافره و توقف عن هذه العادة ، ربما يعود إليها مجددا عند رؤيته لنماذج تمارس مثل هذه العادة).

و يرى A. Bandura إن التعلم الاجتماعي يمر بعدة مراحل و هي:

1- إن مجرد وجود نماذج تعرض أنماطا سلوكية ليس كافيا لحدوث التعلم بالملاحظة ما لم يتم الانتباه لما تعرضه مثل هذه النماذج من أنماط سلوكية .فالانتباه يعد عملية مدخلية أولية لحدوث التعلم الاجتماعي، إذ من خلاله يتولد لدى الفرد الاهتمام وحب الاستطلاع ويتيح له إجراء المعالجات المعرفية اللاحقة. حيث أن الشخص يلاحظ ما يقوم به الآخرين من سلوكيات (النموذج). و التعرف على نواتج

ذلك السلوك (المكافأة أو العقاب). ويرى A. Bandura أنه ليس بالضرورة الانتباه إلى كل ما يدور حولنا من الأنماط السلوكية للنماذج وإنما يتم الانتباه على نحو انتقائي اعتمادا على عدد من العوامل التي ترتبط بنا أو بخصائص النماذج أو بخصائص السلوك والدوافع.

2- يتطلب التعلم بالملاحظة توفر قدرات لدى الملاحظ تتمثل في القدرة على التمثيل الرمزي للأنماط السلوكية وتخزينها على نحو لفظي أو حركي أو تعبيري و الاحتفاظ بها في الذاكرة، فعدم توفر مثل هذه القدرة تجعل ملاحظة سلوك النماذج عديمة النفع .وهكذا فلكي يتم الاحتفاظ بالمدخلات الحسية لابد من ترميزها على نحو معين بحيث يسهل عملية تخزينها واسترجاعها لاحقا.

3- للكشف عن حدوث التعلم بالملاحظة لدى الأفراد يتطلب توفر قدرات لفظية أو حركية لديهم لترجمة هذا التعلم في سلوك أو أداء خارجي قابل للملاحظة والقياس .إن عدم توفر المهارات الحركية أو القدرات اللفظية ينطوي على عدم قدرة الفرد على أداء الاستجابات المتعلمة، وهذا الأمر يتطلب توفر عوامل النضج من جهة، وتوفير فرص الملاحظة والممارسة من جهة أخرى. إن إعادة إنتاج الفعل السلوكي لا يعني بالضرورة أن يكون هذا الفعل صورة طبق الأصل للسلوك الملاحظ بالأصل، فقد يعمل الفرد وفقا لعمليات التنظيم الذاتي على إعادة إنتاجه على نحو يتلاءم مع توقعاته.

4-يعتمد التعلم بالملاحظة على وجود دافع لدى الفرد لتعلم نمط سلوكي معين .إن غياب الدافعية من شأنه أن يقلل مستوى الانتباه والاهتمام بما يعرضه الآخرون من نماذج سلوكية .ويتوقف الدافع على عدد من العوامل منها النتائج التعزيزية أو العقابية (النتائج الخارجية) المترتبة على سلوك النماذج، وهو ما يطلق عليه التعزيز أو العقاب البديلي، كما يعتمد أيضا على العمليات المنظمة ذاتيا، أي التعزيز الداخلي

إن التعلم من خلال الملاحظة يتطلب بالضرورة التفاعل المباشر و غير المباشر مع النماذج التي ربما لا تمثل بالضرورة أشخاصا حقيقيين ، فمصادر التعلم الاجتماعي عديدة أهمها : التفاعل المباشر مع الأشخاص الحقيقيين في الحياة الواقعية + التفاعل غير المباشر من خلال وسائل الإعلام (التلفزيون ، الراديو.....)+ قراءة القصص و الروايات +الشخصيات التاريخية و الأسطورية.....

تقييم النظرية

قدمت هذه النظرية العديد من الإسهامات الايجابية منها التأكيد على أهمية الجماعة كمحدد للسلوكيات التي يكتسبها أفرادها، بالإضافة إلى الفائدة المتوقعة من التعلم بالملاحظة في العلاج و الإرشاد النفسي

و في الكثير من المواقف التعليمية و التدريبية، و تعليم الأطفال ، كما أن التعلم بالملاحظة لا يحتاج بالضرورة إلى التعزيز ، ويجمع بين العوامل البيئية و النفسية معا (التذكر – الإنتاج –الدافع). بالرغم من كل ذلك إلا انه يعاب عليها أنها لم توضح العوامل التي تقف وراء عملية انتقاء السلوك الملاحظ، كما أنها لم توضح دور القدرات و الاستعدادات في استقبال أنماط السلوك الملاحظ ، كما أنها لم تتطرق إلى أي التعزيزات أهم الداخلية أو الخارجية ، إضافة إلى ذلك تركيزها على السلوكيات الظاهرة فقط و إهمال المشاكل الداخلية (الصراع–الدوافع اللاشعورية..) بالرغم من إشادتها بأهمية العوامل الداخلية.

التطبيقات التربوية:

–المساهمة في نقل ثقافة المجتمع إلى الأجيال الصاعدة.

–استخدام الأفلام التي تشمل مواد تتعلق بالقيم و العادات و التقاليد.

–استخدام القصص الهادفة التي تضمن توفير نماذج مثالية للمتعلمين.

–تعديل السلوك أو الكف عن بعض السلوكيات لدى الأفراد عند مشاهدتهم لنماذج قامت بالسلوك و تمت معاقبتها عليه أو نماذج ايجابية تم مكافأتها.

–المعلم قدوة للمتعلمين ، فالمتعلم يتأثر بسلوك المعلم أكثر من أقواله و نصائحه.